

جامعة إفريقيا العالمية

المركـز الإسلامـي الإفريقـي

المؤتمر العالمي للقرآن الكريم ودوره في بناء الحضارة الإنسانية
(بمناسبة مرور (١٤) قرناً على نزوله)

٢٠ - ٢٢ محرم ١٤٣٣هـ ، الموافق ١٥ - ١٧ ديسمبر ٢٠١١م
الخرطوم - السودان

لجنة الأوراق والسكرتارية

الأوراق العلمية

(الكتاب الثالث)

الإخراج الفني والتصميم

الأستاذ: طارق فاروق عبدالله هارون
الأستاذ: عبدالرحمن محمد الوسيلة

تصميم الغلاف

الشيخ الأمير

محرم ١٤٣٣هـ / نوفمبر ٢٠١١م

لجنة الأوراق والسكرتارية

١) الدكتور/ عمر أحمد سعيد رئيساً .
٢) الدكتور/ عبدالقيوم عبدالحليم الحسن رئيساً مناوباً.
٣) الدكتور/ كمال محمد جاه الله عضواً .
٤) الدكتور/ محمد عبدالقادر محمد عضواً
٥) الدكتور/ يوسف خميس أبورفاس عضواً .
٦) الدكتور/ المعتصم محمد الأمين عضواً .
٧) الأستاذ/ طارق فاروق عبدالله هارون عضواً مقرراً .
٨) السماني علي أحمد عضواً .



المحتويات

Online Publishing Committee لجنة التغطية الالكترونية

د. أشرف محمد عبدالله / أ.عبدالماجد محمد أحمد / أ.مصطفى حسن ابراهيم / أ.التجاني محمد احمد كرار



Online Publishing Committee — لجنة التغطية الالكترونية

د. أشرف محمد عبدالله / أ.عبدالماجد محمد أحمد / أ.مصطفى حسن ابراهيم / أ.التجاني محمد احمد كرار

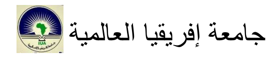


(أ)

مقدمة الكتاب:

نضع بين يديك- عزيزي القاريء- هذه المجموعة من الأوراق العلمية التي كتبت بأقلام متنوعة، قد تكون مختلفة في تناولها للقضايا التي تطرحها، لكن يجمعها أنها تصب في بحيرة واحدة تمثل محاور المؤتمر العالمي للقرآن الكريم ودوره في الحضارة الإنسانية الذي تداعت له أقلام الباحثين بمختلف مشاربهم وتخصصاتهم.

الحق أن هذه الأوراق المشار إليها ما كان لها أن تكون بهذه الصورة التي عليها الآن لولا اجتيازها لعدد من المحطات، التي تأتي في مقدمتها، تحكيم مستخلصها وإعادة تحريرها عبر لجنة مختصة، ومن ثم تحكيم الورقة نفسها عبر لجنة مختصة أيضا، ومن ثم تصحيحها لغوياً بواسطة لغوي متميز في مضمار التدقيق اللغوي.



ارتكازاً على ذلك ندرك مدى الجهد الذي بذل في إعداد محتويات هذا المجلد من الأوراق العلمية التي نأمل أن تقع موقعاً حسناً عند القرّاء فذاك ما نصبو إليه، والله ولي التوفيق.

Online Publishing Committee لجنة التغطية الالكترونية
د. أشرف محمد عبدالله / أ.عبدالماجد محمد أحمد / أ.مصطفى حسن ابراهيم / أ.التجاني محمد احمد كرار



تقديم الكتاب

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يؤدي هذا المؤتمر العلمي مهمته، كاملة في التعريف بدور القرآن في تشكيل الحياة الإنسانية على استحالة ذلك بالطبع. لأن لهذا الكتاب الإلهي إسهاماته التي تبدو وكأنها لا متناهية في تشكيل التاريخ الإنساني، وتشكيل الفضاء العام وتشكيل العقل والوجدان وكل ما يتعلق بالإنسان ودوره في هذه الحياة.

كل ذلك لان القرآن خطاب الله الكامل للإنسان ،الكتاب الجامع المفتوح للدراسة والتأمل في كل زمان ومكان ،هو مصدر المعارف الدائم يَعْظُم من يأخذ منه ،ويَشْرُف من يلجأ إليه، مورد الخير ومنبع البركة والنعمة وهو الحبل المتين والقوة التي لا تلين. لكل ذلك لم ينقطع الاهتمام به والاحتفاء بعظمته منذ أن نزل وسيظل كذلك إلى ما شاء الله. كما أن الإسلام، حتى وفي ظروف الكبت والإقصاء والتهميش، ظل بفضل هذا الكتاب يُمثل المرجعية للأفراد والمجتمعات سراً وباطناً في ظل أوضاع الاضطهاد والحرب ومحاكم التفتيش التي ما تزال دائرة في بعض بقاع الأرض.

والحق أن اهتمام جامعة إفريقيا وأهل السودان به لم يأت من فراغ، وإنما يعود ذلك إلى الأهداف والوجهة الأولى للمركز الإسلامي الإفريقي، نواة هذه الجامعة، التي احتضنها أهل السودان شعباً وحكومةً، وآزرهم عليها قوم كرام وحكومات وهيئات كريمة ،وهي ذات الجهات التي تدعم اليوم مؤتمر القرآن الكريم.

ولا يزال القرآن الكريم من أكبر اهتمامات جامعة إفريقيا المتمثلة في مطلوبات الجامعة المهولة من القرآن ودراساته، وحلقاته العامرة في مساجدها وقاعاتها.

لجنة التغطية الالكترونية Online Publishing Committee

د. أشرف محمد عبدالله / أ.عبدالماجد محمد أحمد / أ.مصطفى حسن ابراهيم / أ.التجاني محمد احمد كرار



"المؤتمر العالمي للقرآن الكريم ودوره في بناء الحضارة الإنسانية" جاء عنواناً لهذا التجمع القرآني الكبير. عنواناً تنطوي تحته محاور تركز في مجملها على إسهام القرآن في حضارة الإنسان في كل مجالات الإسهام. نتج عنه هذه الأوراق التي تصب بحوثها في خدمه القرآن وإبراز دوره الحضاري.

(ج)

هذا المؤتمر مجرد محاوله متواضعة لقراءة دور القرآن في بناء المجتمعات الإسلامية وكذلك معرفة إسهام العلوم التي بثها العقل الإسلامي في إعادة تشكيل العقل الإنساني الذي قاد لحضارة العلمية الحديثة، كما أن القرآن يظل وراء كل حدث كبير، وما التحولات الجارية في العالم الإسلامي اليوم إلا صدىً لهذا الكتاب الذي لا تنقضي عجائبه، لان القرآن وراء ازدهار المساجد ووراء إعمار الشباب لدور العبادة، ووراء العودة لله، والقرآن هو التجويد والعلم والعقل والتدبر، وطهارة اليد واللسان والعفة، وطهارة العقل والبنان وطهارة الجنان– وفي إطار هذه المعاني يجئ هذا المؤتمر.

ولكي يظهر المؤتمر في الصورة اللائقة بعظمة القرآن حرصت الجامعة على البرامج المصاحبة ومن بينها معرض القرآن الكريم الذي يبرز جهود أهل القرآن بالسودان وغيره من البلدان، الجهود الرسمية والشعبية القديمة منها والحديثة.

كما تشمل التظاهرة حدثاً قرآنياً كبيراً تتجمع فيه خلاوي السودان بفسيفسائها وأطيافها المختلفة حول " تُقَّابة القرآن " نار القرآن العظمى التي تجسد تقاليد أهل السودان في تعليم القرآن ودراسته.

بالإضافة لذلك فأن هذه التظاهرة ستشهد مشاركة وفعاليات واسعة من الشخصيات والمؤسسات المعنية بالقرآن محلياً وإقليميا وعالمياً بما يبلور عظمه القرآن وجلاله.

لجنة التغطية الالكترونية Online Publishing Committee

د. أشرف محمد عبدالله / أ.عبدالماجد محمد أحمد / أ.مصطفى حسن ابراهيم / أ.التجاني محمد احمد كرار

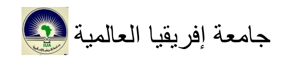


وأنا، إذ أقدم هذا الكتاب للمؤتمرين والقراء وأصحاب الشأن والاهتمام ، لا أشك في أن قيام هذا المؤتمر بهذه الصورة سيجلب الخير والبركة لجامعة إفريقيا ومجتمعها ، وللسودان وأهله ودولته ، عليه اسأل الله أن يكون في كل ذلك عملاً صالحاً وجهداً مباركاً ، وان يكون لهذا الكتاب الذي يحتوي على طائفة من الأوراق المقدمة في المؤتمر فائدة عامة ودور ايجابي في التعريف بالمؤتمر بما يشحذ الهمم ويثير القرائح للإسهام في نجاحه وازدهاره .

واسأله تعالى أيضاً أن يكون هذا المؤتمر مجرد فاتحة لمئات المؤتمرات التي تتناول هذا الشأن.

والله ولي التوفيق،،

بروفيسور/ حسن مكي محمد أحمد
مدير جامعة إفريقيا العالمية

International University of Africa IUA  جامعة إفريقيا العالمية

المؤتمر العالمي للقرآن الكريم ودوره في بناء الحضارة الإنسانية

THE HOLLY QURAN: INTERNATIONAL CONFERECE

الخلاوي ودورها في تعليم القرآن الكريم في السودان

(خلاوي الغبش غرب بربر نموذجاً)

المحور الثالث: نظم تعليم القرآن الكريم في العالم

(المدارس القرآنية في إفريقيا وآسيا)

إعداد:
د. محمد النايرعلي النايز
دكتوراه (اقتصاد زراعي)
مدير إدارة الرصد والمتابعة بمجلس حماية وترقية البيئة- ولاية نهرالنيل
السودان

Online Publishing Committee لجنة التغطية الالكترونية

د. أشرف محمد عبدالله / أ.عبدالماجد محمد أحمد / أ.مصطفى حسن ابراهيم / أ.التجاني محمد احمد كرار



المقدمة :

ثبت تاريخياً أنّ السودان له حضارات قديمة تدل علي تطور الحياة به، بما في ذلك عصور ما قبل التاريخ وعصور تعاقبت بعدها إلي فترة الحكم النبتي (ملوك كوش) ثم حضارة مروي التي امتدت حتى العصر المسيحي، وحين دخول العرب إلي السودان يحملون معهم حضارة الإسلام ونبراس الهداية للأنام. نالت البلاد نصيبها من هذا التحول الكبير، ولكن في واقع الأمر أن الدعوة الإسلامية في السودان سبقت قيام الدولة خلافاً لما كان عليه الحال في الشام ومصر، وذلك لان السودان استعصي علي الفتح وكان عسيراً علي المسلمين بسبب سهام أهل النوبة التي أصابت أحداق المسلمين والتي عرفوا بعدها برماة الحدق. والممالك المسيحية التي كانت تحكم السودان آنذاك وهي :

- مملكة المقرّة في شماله و عاصمتها دنقلا العجوز .
- مملكة علوة و عاصمتها سوبا.
- كانت هناك مملكة ثالثة تعرف بنوباتيا وعاصمتها فرس انضمت إلي علوة فيما بعد .

لم يهدأ للمسلمين بال دون فتح بلاد النوبة التي أرسل إليها عمرو بن العاص والي مصر جيشاً بقيادة عقبة بن نافع في عام ٦٤١م ولم يستطع دخول دنقلا وفي خلافة سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه عام ٦٥٢م عندما صار عبد الله بن سعد بن أبي السرح والياً علي مصر جرد لفتح بلاد النوبة حملة



كبيرة استطاعت دخول دنقلا وعقد معاهدة مع حاكمها عرفت باتفاقية البقط حيث مكنت هذه الاتفاقية بشروطها التي أبرمت مع ملك النوبة للتغلغل العربي الإسلامي إذ أنها شجعت التجارة بين مصر والسودان والعالم الخارجي فتدفق العرب وهم مطمئنون علي أنفسهم وأموالهم يتاجرون في بلاد السودان.

هجرة العرب في أعداد كبيرة إلي السودان كانت عامل أساسي في نشر الإسلام بين المواطنين، لكن التحول حدث بطيئاً ويغلب عليه السلم ولم يكتمل انتشار الإسلام ويصبح السودان جزءً من العالم الإسلامي إلا بعد أن قامت الممالك الإسلامية. وخلال الستة قرون التي سبقت قيام الممالك الإسلامية امتزج السكان الوطنيين من البجا والنوبة والزنج وغيرهم مع العرب المهاجرين الذين تشبعوا بثقافتهم ثم سادت بعد ذلك اللغة العربية وتراجعت اللهجات المحلية إلا القليل منها، فأصبح السواد الأعظم يتحدثون العربية ويدينون بالإسلام بعد أنْ ساعدت ظروف الامتزاج والتعايش السلمي علي ذلك إضافة لعوامل أخري مثل استبداد وقهر المماليك الذين حكموا مصر وسقوط دولة بني أمية الذين فرّ عدد كبير منهم إلي السودان حتى أن البعض ينسب الفونج إلي بني أمية.

إن الحقائق التي وردت من خلال هذه المقدمة هي التي توصلنا لمعرفة كيف انتشر الإسلام بالسودان وطرق تعليم الدين خلال حقبة المسيحية (ما قبل الإسلام) ووضع السودان بعد دخول الإسلام، كما تبين هذه الورقة طرق تعليم القرآن بالسودان و لماذا تم اختيار خلاوي الغبش نموذجاً لذلك تحديداً .



اعتمدت هذه الورقة علي الوصف التاريخي ودراسة الحالة لنموذج محدد هذا بالإضافة للاستفادة من المصادر الأولية والثانوية التي تم الحصول عليها بجهد كبير والاستعانة بالملاحظات والمقابلات الشخصية التي تمت مع أهل الشأن. علي أن تشتمل الورقة علي التوصيات والملاحق الضرورية .

السودان قبل دخول الإسلام :

الإرث التاريخي المتداول بين شعوب وادي النيل يشير ويدل علي أنّ هناك ارتباطات أزلية بين هذه الشعوب وكل ما يحدث في مصر يتأثر به السودان سواء كان هذا التأثير عاجلاً أم آجلا.

دخلت المسيحية مصر في منتصف القرن الأوّل الميلادي و انتشرت بسرعة بين المصريين لأنهم كانوا مغلوبين علي أمرهممن قِبل الرومان لذلك لجأوا إلي الرب للخلاص، لكن قام الحكام الرومانيون باضطهاد المسيحيين في مصر فهربوا إلي الجنوب والي الغرب (طيبة وأسوان) لإقامة شعائر دينهم ورحل بعضهم إلي النوبة و سكنوا معهم الجزر(جمع جزيرة) وكان هذا أول اتصال بين المسيحية والسودان كما أنها دخلته في القرن الثالث الميلادي و تنصر السودان بصفة قاطعة في عهد الإمبراطور "جيستنيان" وزوجته الإمبراطورة "تيودورا" (٥٢٧-٥٦٥م) حيث أغلق المعبد الوثني وبالتالي فقد الوثنيون قبلتهم و حصل لهم فراغ ديني وجههم نحو المسيحية (عبد الغني



١٩٧٠م) وبعد ازدياد انتشار المسيحية في السودان تشكلت ثلاث ممالك مسيحية هي:

- مملكة نوباتيا التي تمتد من الشلال الأول حتى الشلال الثالث وعاصمتها فرس.
- مملكة المقرة وتمتد من الشلال الثالث حتى كبوشية وعاصـــمتها دنقـــلا العجوز.
- مملكة علوة وتمتد من كبوشية شمالاً وحدودها الجنوبية شملت منـــاطق سنار وجبل موية ومناطق حول كوستي وعاصمتها سوبا.

وهذه الممالك قامت علي بقية مشيخات دولة مروي (عبد الغني، ١٩٧٠م) واتحدت فيما بعد مملكة نوباتيا مع مملكة المقرة حيث أحست قرب هجوم الجيوش الإسلامية عليها وصار ملك نوباتيا نائباً لملك المقرة .

المجتمع السوداني المسيحي كان من أرقي المجتمعات المعاصرة له رغم بعض القصور، حيث كان بإدارة المملكة ملك علي رأسها ونائب له في فرس ثم يلي ذلك أصحاب الوظائف الملكية المختلفة (عبد الغني، ١٩٧٠م)، وفي مجال التعليم يعرف السكان اللغة الإغريقية عن دراية ودراسة يقراؤون بها الطقوس الكنسية ويكتبون بها علي شواهد القبور حني القرن الثامن عشر الميلادي وأيضاً كانوا يستعملون اللغة القبطية التي كانت لغة كثير من الكنائس ثم سادت من بعد ذلك اللغة العربية فكان أهل العلم في السودان في القرن



العاشر الميلادي يقراؤون ويكتبون باللغات الإغريقية والقبطية والنوبية والعربية .

والنشاط الاقتصادي المستمر إلي يومنا هذا يعتمد في الأساس علي الزراعة والرعي وثانياً التجارة تاتي في المرتبة الثالثة (عبد الغني، ١٩٧٠م) وللسودان علاقات تجارية مع مصر والحبشة وبلاد العرب وبلاد الشام .

في مملكة علوة حولت المعابد الوثنية إلي كنائس حتى بلغ عددها أربعمائة كنيسة علي الرغم من ذلك المعلومات عن السودان المسيحي ضئيلة جداً لا تعتمد إلا علي المصادر العربية التي كانت اغلبها سماعية هذا المشهد يقودنا للأرضية التي وجدها الإسلام عند قدومه إلي السودان .

السودان بعد دخول الإسلام :

كما أسلفنا أن شعوب وادي النيل مرتبطة الوجدان بعضها مع بعض ما أنّ يحدث شيء في مصر إلا امتد للسودان ففي خلافة سيدنا عمر بن الخطاب الخليفة الثاني تقدّم عمرو بن العاص لفتح مصر في عام ٦٣٩م لقطع الطريق علي الرومان بمصر لتأمين بلاد الشام بعد أن قضي الإسلام علي إمبراطوريتهم. وما أن استقر الأمر في مصر حتى أرسلت حملة عربية إسلامية بقيادة عقبة بن نافع الفهري لتأمين ظهر مصر بفتح السودان. واجهت هذه الحملة بالسودان رجالاً أشدّاء دافعوا عن دينهم ومعتقداتهم فاثخنوا جيش عقبة بالجراحات وفقدوا أحداقهم حتى سُمّوا "رماة الحدق". غير أن العرب لم يجدوا



سبباً قوياً لحرب السودانيين قبل أن تستقر لهم الأمور في مصر لاسيما أنّ أرض السودان شمال دنقلا كانت مقفرة جرداء تعرض الجيوش لمشاكل عسكرية عدة (عبد الغني، ١٩٧٠م). سمع السودانيون بموت الخليفة عمر بن الخطاب فأغاروا علي صعيد مصر منتقمين ينهبون ويسلبون. أثار هذا الموقف حفيظة عبد الله بن سعد بن أبي السرح والي مصر في عهد خلافة سيدنا عثمان إبن عفان رضي الله عنه ففي عام ٦٥١م قاد جيشاً لفتح السودان سار حتى دخل دنقلا دون مقاومة وكان هدف ملك دنقلا عدم المقاومة إنهاك الجيش الإسلامي. ولما دخل الجيش الفاتح دنقلا رمى عبد الله بن سعد كنيسة دنقلا بالمنجنيق ولم يكن معروفاً لدي السودانيين من قبل ذهل الملك واستسلم صاغراً مهزوماً دون مقاومة تذكّر وعقد مع أبن أبي السرح عهداً عرف باسم اتفاقية البقط. أحدثت هذه الاتفاقية تحولاً كاملاً في مجريات الأحداث بالسودان حيث أخذت الهجرات العربية للسودان أشكالاً عدة بعضها بقصد التجارة والتعدين وبعضها طلباً للرعي أو هروباً من ضغط الحكومات القائمة علي أمر مصر. مع العلم بأن هناك هجرات عربية دخلت سودان وادي النيل عبر احد هذه الطرق وهي:

- عبر مصر عن طريق وادي النيل و الصحراء الشرقية .
- من الحجاز عبر البحر الأحمر حيث ازدهرت بالتجارة موانى باضع وسواكن و عيذاب .
- من شمال إفريقيا و المغرب .



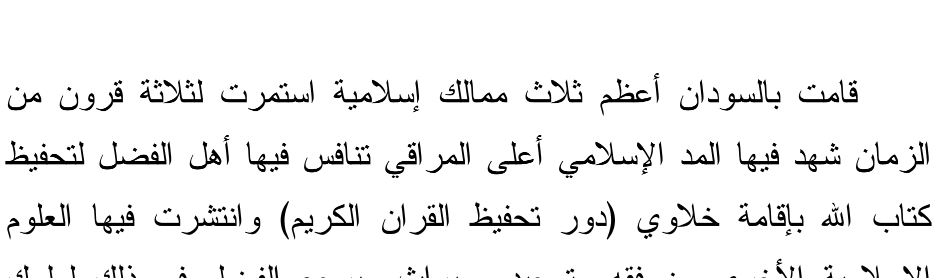
الطريقان الأولان: عبر مصر والحجاز مرت عبرهما هجرة عربية منذ أزمنه بعيدة لكن زادت أهميتها بعد ظهور الإسلام الذي أعطاها السند الروحي والدّعم السياسي (خضر ١٩٨٥م).

والمتتبع لانتشار الإسلام بالسودان يجده مرّ بمرحلتين أساسيتين أوّهما كان دور المهاجرين العرب و جلهم من البدو و التجار وكانت هذه بمثابة مرحلة إعدادية سبقت قيام السلطنات الإسلامية إلا أنّ انتشار العقيدة الإسلامية في هذه المرحلة كان اسمياً في كثير من المظاهر. ويعتبر قيام السلطنات الإسلامية المرحلة الثانية التي سوف نورد مزيداً من التفاصيل عنها.

لازم انتشار الإسلام في السودان انتشار الثقافة الإسلامية ودورها على يد علماء الفقه ومشايخ الطرق الصوفية (خضر ١٩٨٥) ومثال هؤلاء الرواد الذين توجّهوا نحو السودان عن طريق مصر محمود العركي وأولاد جابر الأربعة واختهم فاطمة وعن طريق الحجاز والمغرب عبد الكافي المغربي استاذ الشيخ محمد بن عيسي سوار الذهب والشيخ تاج الدين البهاوي القادم من العراق عبر الحجاز للسودان (خضر ١٩٨٥) وغلام الله بن عايد القادم من اليمن (نقد، ٢٠٠٧م)، هؤلاء الرجال وغيرهم كثير أسهموا إسهاماً وافراً في إرساء قواعد الإسلام في السودان وطبعوه بالطابع الصوفي (خضر، ١٩٨٥م) .

قيام الممالك الإسلامية بالسودان :





قامت بالسودان أعظم ثلاث ممالك إسلامية استمرت لثلاثة قرون من الزمان شهد فيها المد الإسلامي أعلى المراقي تنافس فيها أهل الفضل لتحفيظ كتاب الله بإقامة خلاوي (دور تحفيظ القران الكريم) وانتشرت فيها العلوم الإسلامية الأخرى من فقه وتوحيد وميراث ويرجع الفضل في ذلك لملوك وحكام هذه الممالك لإكرامهم العلماء وتقديم العطايا والهبات لهم وتشجيعهم للهجرة لهذه الممالك بكل الطرق الممكنة حتى انه في مملكة الفونج لا ترد شفاعة بعضهم في أي أمر كان نوجز ملخصاً عن الممالك الثلاث علي النحو التالي:

مملكة الفونج الإسلامية :

قامت بتحالف "عمارة دنقس" زعيم الفونج و"عبد الله جماع" شيخ عرب القواسمة من جهينة وقد قام الأول بجمع رجاله في جبل موية واتفق مع جماع علي إخضاع ملوك سوبه وملك الغرب ودارت معركة في أربجي سنة (٩١٠هـ/١٥٠٥م) وانتصروا انتصاراً كبيراً ثم انتشرت الدعوة الإسلامية في أكثر أجزاء مملكة علوة والمقرة المسيحيتين لتصل هذه الدولة المسيحية إلي نهايتها (خضر، ١٩٨٥م). استمرت مملكة الفونج من (١٥٠٥-١٨٢١م) تعاقب علي الملك فيها عدد من المملوك بلغ عددهم خمسة عشر ملكاً ثم بعد ذلك أصبح الهمج أهل الحل والعقد في الدولة هذا ما أورده كاتب الشونة (أبو علي، ٢٠٠٩م)، كما أوضح كاتب الشونة أنه كان هناك جهل بأمر الدين ولم تشتهر هناك مدرسة علم ولا قرآن قبل دولة



الفونج وأنّ الرجل يطلّق المرأة ويتزوجها غيره في نهارها بدون عُدة إلي أن قدم الشيخ محمود العركي من مصر وعلم الناس العدة في الطلاق. وفي عهد الشيخ "عجيب المانجلك" قدم الشيوخ والعلماء ورجال الطرق الصوفية إلي دار الفونج وقد ذكرنا بعضهم في مطلع هذه الورقة(كاتب الشونة أبوعلي، ٢٠٠٩م).

وقيام هذه الممالك دليل علي غلبة الثقافة الإسلامية في السودان ومن خلال هجرة العلماء ورجال الطرق الصوفية تعمقت مفاهيم العقيدة الإسلامية بطريقة أشمل وبلغت حدود دولة الفونج من سواكن شرقاً إلي النيل الأبيض غرباً وإلى بلدة حنك شمال دنقلا .

أهمّ ما قامت به دولة الفونج الإسلامية في خدمة الإسلام في السودان هو القضاء علي مملكة علوة المسيحية ثم محاربة الوثنيين بجبال النوبة لإغارتهم علي كردفان ثم تعليم أبناء النوبة القرآن الكريم بالأبيض وإرجاعهم لأهلهم ليقوموا بنشر الدين الإسلامي بين قبائلهم كما حاربوا الشلك لنفس الغرض. وواجهت دولة الفونج التحدي المسيحي الصليبي ضد الإسلام والمسلمين الذي تقوده الحبشة بدعم من فرنسا. وأهمّ ما قامت به أنّها استعملت الوسائل السلمية لنشر الدعوة الإسلامية والنهوض بالدين وذلك عبر معاملة ملوك الفونج لرجال الدينِ معاملة حسنة باحترامهم وإحاطتهم بالرعاية والتكريم هذا فضلاً عن طلب العلم بالأزهر والحجاز، حتى أنّ النساء كان لهن نصيب من العلم و المعرفة



مثل فاطمة بنت جابر وهي أخت أولاد جابر الأربعة وكذلك عائشة بنت القدال التي كانت تدرس القرآن الكريم في توتي (خضر، ١٩٨٥) .

هذا الاهتمام بالعلم و العلماء من قبل دولة الفونج الذي ذكر آنفاً هو الذي سوف نسلط الضوء عليه باعتبار أنّ الاهتمام بتحفيظ القرآن هو بداية الطريق لمعرفة دين الإسلام فنشأت خلاوي القرآن الكريم و العلوم الإسلامية الأخرى علي نطاق دولة الفونج وقد أرّخ لذلك الفقيه العالم محمد ضيف الله بن محمد في كتابه "الطبقات" وأشار إلى علماء و فقهاء ورجال التصوف لدولة الفونج ومهما كانت هناك من ملاحظات عن هذا المصنّف فهو المرجع الجامع الآن الذي يمكن الاعتماد عليه كمصدر أساس للمعلومات عن دولة الفونج .

مملكة (سلطنة) دار فور :

غربي البلاد يقع إقليم دارفور علي الحدود السياسية مع جمهورية تشاد وغرب كردفان . قامت بهذا الإقليم مملكة في الفترة (١٦٣٧-١٨٧٥م) علي يد مؤسسها "سليمان سلونج" وسلونج هذه بلغة الفور معناها عربي ، تنتمي أسرته لبني هلال، وهو من سلالة أحمد المعقور. يرجع لهذه المملكة الفضل في انتشار العلم والذي جعل منها مركزاً من مراكز الإسلام وقد استقدم السلطان سليمان الفقهاء ليعلموا الناس الإسلام (خضر، ١٩٨٥م)، فاتسعت دائرة الإسلام وتأثر السودان بأكمله بالحضارة الإسلامية والثقافة العربية .



مملكة تقلي :

قامت هذه المملكة علي يد رجل من الزهّاد الجعليين في جبال النوبة و كانت سياسته وسياسة من خلفه نشر الإسلام وقد تزاوج الجعليون مع القبائل النوباوية .

تأسست هذه المملكة في حوالي عام ١٥٧٠م في الركن الشمالي الشرقي من منطقة جبال النوبة في غرب السودان واستمرت هذه المملكة إلي أواخر القرن التاسع عشر الميلادي وامتدت من تلودي جنوباً وحتى خور أبو حبل شمالاً. تعاقب علي هذه المملكة تسعة عشر حاكماً من أبناء وأحفاد مؤسس هذه المملكة وعملت علي نشر الإسلام والعربية بالمنطقة وأعانهم علي ذلك التزاوج مع القبائل النوباوية، كما شجّع الملوك القبائل العربية للهجرة والاستيطان بهذا الركن من السودان (خضر، ١٩٨٥م) .

تميّز انتشار الإسلام في السودان والدعوة الإسلامية بشعبية وحيوية ذاتية وقوة لها شعابها في وجدان أهل السودان، حتى فرض هذا الواقع إذابة كاملة للمسيحية ولم يبق في إقليمها من لم يسلم، وطبيعة التربية الدينية هذه ساعدت علي نجاح الدعوة المهدية فيما بعد ولا زالت البيئة السودانية محتفظة بقوة حسها الديني فنسبة حفظة القرآن الكريم في السودان اليوم اذا قيسوا بعدد السكان اكبر من نسبتهم في أي قطر إسلامي آخر (خضر، ١٩٨٥م).

طرق تعليم القرآن الكريم بالسودان :

عند قيام دولة الفونج والممالك الإسلامية الأخرى كان دور الدولة فقط هو تشجيع العلماء والفقهاء وتقديم العطايا لهم للقيام بدورهم تجاه المجتمع المسلم ولم يكن وقتذاك نظام تعليمي معروف تديره الدولة أو مؤسسة تعليمية لها شهرتها كالأزهر في مصر يقوم بتأهيل العلماء . ما حدث هو هجرة متواترة و منتظمة لعلماء وفقهاء أجلّاء قدموا للبلاد من الحجاز أو مصر أو بلاد المغرب وارتباطهم بالزعامات المحلية أو الملوك و السلاطين أو تصاهرهم مع زعماء المنطقة التي يختارون الإقامة بها ليفتح بعدها دار لتعليم أو تحفيظ القرآن أو العلوم الإسلامية الأخرى وعندما يذيع صيت العالم ويشتهر يأتي إليه طلاب العلم من كل حدب و صوب . شاهدنا علي ذلك أنّ غلام الله بن عايد عندما أتى مهاجراً من اليمن إلي السودان عبر البحر الأحمر اتجه شمالاً إلي "دنقلا" لما يعرفه عنها منذ أن كان في اليمن و هي أشهر بلاد السودان في ذلك الزمان وقبله و من جهة أخري فإن منطقة دنقلا قد رحبت بغلام الله لما وصل إليها وعلمت مقداره وقدرت علمه، ومن ثم اختارت قاضيها عيسي بن صالح لتعليم ابنه "سوار الذهب" القرآن الكريم. ومنطقة دنقلا شهدت طلائع وبدايات ظهور شيوخ من البديرية الدهمشية. ولمكانة عائلة عيسي بن صالح وما حازته من احترام لدي ملك دنقلا حسن ولد كشكش زوج ابنته لمحمد بن عيسي سوار الذهب، وبالمثل فعل الشيخ الفقيه عيسي بن صالح مع غلام الله بن عايد ولما

كان الأخير من حفاظ القرآن الكريم احتضنه الشيخ صالح و أحسن إليه وزوجه ليقيم عنده ليُحفِّظ أولاده القرآن الكريم وغيرهم من أبناء المسلمين (نقد، ٢٠٠٧م).

يذكر الأستاذ الطيب محمد الطيب في كتابه "المسيد" أن بداية تدريس القرآن الكريم في السودان ترجع إلي أزمنة قديمة ربما للقرن الأول للهجرة لأنه أينما وجد مسلمون وجد تعليم القرآن، لكنّه لا يوجد دليل موثق يؤكد متي بدأ تعليم وتدريس القرآن بالسودان تحديداً أما الروايات الشفهية والمكتوبة تجمع أن بداية دراسة القرآن المنتظمة كانت في ارض دنقلا العجوز التي تسمي اليوم (الغدّار) وكانت علي يد غلام الله بن عايد الذي قدم للسودان نحو سبعين وثمانمائة للهجرة (٨٧٠هـ). (نقد، ٢٠٠٧م).

قد تناقلت الأقوال أنّ غلام الله قد وجد أهل دنقلا في حالة من الحيرة والجهل لعدم وجود العلماء ومدارس القرآن ولغياب من يعرف القراءة والتعليم، فهذا لا يعني أنّ الأمّية ضاربة مطبقة علي منطقة دنقلا لكن ما ذكر إذا قورن مع اليمن تكون المقولة صادقة (نقد، ٢٠٠٧م).

وعلي ضوء ما ذكر انتشر العلم والعلماء في أنحاء السودان المختلفة بسبب حاجة الدولة الإسلامية التي كونها حلف العبدلاب والفونج للعلماء والفقهاء والحفاظ لخلق مجتمع مؤهل يعرف واجبه الديني لكن الذي حدث بدولة الفونج أن كثر فيها رجال الطرق الصوفية وكان لهم تأثير بالغ علي



الحياة فيها فأقاموا ما يعرف "بالمسيد" وهو يعني المسجد والخلوة لكن بعض الفقهاء أنشأوا الخلاوي فقط وبعضهم باشر حلقات العلم من المساجد .

هذه أشكال وطرق التعليم الديني التي انتهجت في السودان واستمرت لقرون من الزمان ولإبراز هذه الحقيقة يتناول الباحث نموذجاً ألا وهو خلاوي "الغبش" التي تقع غرب مدينة بربر بولاية نهر النيل.

لماذا خلاوي الغبش نموذجاً للسودان :

ليس من الميسور الحديث أو الكتابة عن كل الخلاوي بالسودان لكثرتها واتساع الرقعة التي انتشرت فيها، لكنها تتشابه في مناهجها في اغلب الأحيان علي الرغم من أن العلم الأساسي الذي يدرس فيها هو تحفيظ القران الكريم ثم تليه العلوم الدينية الأخرى- والخلوة تعني المكان الذي يخلو فيه العبد للعبادة- وبعد أن طغت الصبغة الصوفية علي الثقافة الإسلامية صارت الخلوة أكثر الأشياء استعمالا ودلالة علي معهد التعليم بل الخلوة كانت ولا زالت مركز الإشعاع الروحي والثقافي والاجتماعي في كل قرية (الغبشاوي، ١٩٩٨م).

جمعت كلمة "**خلوة**" علي خلاوي وهذا ما جري عليه التعبير الدارج في بيئتنا السودانية (ما يعرف بالعامية) لكن صيغة الجمع **(خلوات)** (الإمام، ٢٠٠٢م). هذا ويسمي مقر تعليم القرآن الكريم القرآنية أو مركز تحفيظ القرآن الكريم وكان يسمي في الأندلس "**مَحْضَرَةَ**" وجمعها محاضر (الإمام، ٢٠٠٢م)، والخلوة يُعرِّفها



أحد التربويين (حسن محمد النعيم): (أنها مؤسسة تربوية تركز أساساً علي تحفيظ القرآن، والأحاديث النبوية، والفقه ويشرف علي التدريس فيها معلم واحد وهو الفكي أو الشيخ والخلوة مكان متواضع يجلس فيه التلاميذ علي الأرض ولكلٍ لوح من خشب كتبت عليه السورة أو جزء منها لحفظها (النعيم ، ٢٠٠٤) .

واقع الحال لخلاوى الغبش جعلها نموذجاً للخلاوي بالسودان للأسباب الآتية :

[١] الشهرة التي امتازت بها الناتجة عن عراقتها و جذورها الضاربة في القدم حيث أسست هذه الخلوة في القرن العاشر الهجري. ويعد مسجد الغبش من أعتق وأقدم وأشهر وأعرق المساجد علي الإطلاق وأوسعها صيتاً في دولة الفونج (الغبشاوي، ١٩٩٨م) .

[٢] استمرار عطائها لمدة خمسة قرون دون توقف إلا لظروف نادرة أو ملزمة لذلك اضطراراً.

[٣] انتشار طلابها الذين وقاموا بتأسيس خلاوي أخري بل صاروا من المشاهير بالبلاد ومن أهل الصلاح المشهود لهم مثل الشيخ دفع الله العركي، الشيخ عبد العاطي رجل العطشان وغيرهم.

[٤] جمعت الخلوة بين تحفيظ القرآن وتدريس العلوم الإسلامية الأخرى كالفقه والتوحيد والميراث بل يوجد بها خلوتان عربية و حلنقية لتدريس أبناء "الحلنقي" (الحلنقي قبيلة من قبائل شرق السودان).



[٥] ألف خريجوها ومشايخها عدداً من المؤلفات في علم التجويد وعلوم القرآن الكريم الأخرى .

[٦] تأثير أسرة الغبش علي نطاق واسع بالبلاد ومشاركاتهم في إدارة الدولة فكان منهم البرلمانيون ومنهم من كان في مجال القضاء حتى وصل أحد أبناء الغبش الشيخ مختار محمد الخير-رحمه الله- إلي مفتي الديار السودانية كذلك كان منهم الدعاة والأدباء والكتاب والشعراء.

[٧] خلوة الغبش لها دور مشهور ومؤثر في الثورة المهدية حيث مكث بها الإمام محمد أحمد المهدي ثلاثة أعوام تلقي خلالها العلوم الشرعية علي يد شيخه محمد خير الذي أصبح قائد من قواد جيوش المهدية وعاملاً لها علي مديريتي دنقلا وبربر.

[٨] وردت أسماء مشايخها وطلابها في كتاب "الطبقات" لعدد كبير منهم إظهاراً لدورهم وتأثيرهم في مسيرة دولة الفونج .

[٩] تميزت الخلوة بالتوثيق، والآن بها معرض دائم يحتوي علي كل الوثائق والمعلومات التي تحكي عن مسيرة هذه الخلوة .

هناك العديد من الاستثناءات التي جعلت منها نموذجاً منفرداً وما يرد ذكره عن هذه الخلوة يكون شاهداً علي ما ذهبنا إليه.

من هم الغبش :



هذا الاسم الذي يتردد صداه عبر قرون من الزمان يرجع لمعني التقوى والصلاح والفلاح الذي صار علماً لهذه الأسرة الكريمة والتي انتشرت فروعها من شجرتهم السامقة الشيخ "عبد الله الأغبش" الذي ولد في مستهل القرن العاشر الهجري وعَمّرَ مائة وثلاثين عاماً. ولقب الأغبش نتيجة لإسباغه الوضوء، ويقول عنهم أهل السودان الغبش "أبان مسوحاً مي".(الغبشاوي، ١٩٩٨م) غير أن صاحب الطبقات أورد قصة كسوف الشمس التي قدم للصلاة فيها الشيخ عبد الله الأغبش فصلي بالناس بسورتي البقرة وآل عمران جهراً فانجلت الشمس فقال أحد مكوك الشايقية ممن حضر الصلاة (نعم أهل الغبشة) فصارت علماً له منذ ذلك اليوم وكان وقتها الشيخ عبد الله يدرس الفقه علي الشيخ (إبراهيم البولاد) من أبناء جابر. (الغبشاوي، ١٩٩٨م) .

الشيخ عبد الله الأغبش من مواليد بربر خرج منها في صغره طالباً للعلم فهاجر إلي "دنقلا العجوز" وديار "الشايقية" لحفظ القرآن ودراسة الفقه. حفظ القرآن الكريم ودرس أحكامه علي الشيخ محمد عيسي سوار الذهب وفي ديار الشايقية درس الفقه ثم عاد إلي "بربر: مسقط رأسه ليؤسس خلوته بها التي أضحت شعلة الدين وراية الثقافة لتخرج فوجاً تلو الآخر والعالم اثر العالم. فكان الشيخ عبد الله الأغبش أول من درس مختصر الخليل في بلاد الفونج (الغبشاوي، ١٩٩٨م).

أما نسب الشيخ عبد الله الأغبش من جهة أبيه فيتصل بسيدنا العباس بن عبد المطلب ومن قبل أمه يتصل بالشريف حمد بن محمد الحسيني الشهير بالشريف حمد أبي دنانة. والد الشيخ عبد الله محمد المشهور (بكند مر) بمعنى السكين القاطع بلغة أهل دنقلا، وهو بديري دهمشي (الغبشاوي، ١٩٩٨م).

تأثير الشيخ عبد الله الأغبش وأبنائه وأحفاده علي المجتمع :

الشيخ عبد الله الأغبش بعد أن أعد نفسه لتحمل الرسالة للدعوة لله و توصليها لأبناء المسلمين شَمَّر عن ساعد الجِد و الاجتهاد وأسس خلوته القائمة اليوم والتي هي شاهد علي جهده وجهاده فكان للشيخ عبد الله سلوكه الخاص في تربية تلاميذه فكان غيوراً عليهم لا يرغب في الاستعانة بهم في خدمة الخلوة بل يحرص علي تفرغهم لقراءة القرآن ويوفر الشيخ احتياج الخلوة من المواد الغذائية من الزراعة في الأراضي الحكر والذي يزرع بعد انحسار النيل أو بالسواقي، وكان للشيخ عبد الله علاقة متميزة مع الشيخ عجيب المانجلوك زعيم مشيخة العبدلاب وقد وجدت منه هذه الخلوة عناية خاصة وتقديراً واهتماماً وكان الشيخ عبد الله وزن خاص واعتبار كبير لدي ملوك الفونج مما يدل علي عظيم تأثيره .

للشيخ عبد الله الأغبش أربعة أبناء هم : (أحمد الذي حوّل اسمه إلي حمد و صار علماً عليه، ثم عبد الجبار، وبعده الشكاك، وأخوهم لأبيهم موسي) .

بعد وفاة الشيخ عبد الله تولي الخلافة ابنه أحمد (حمد) الذي اشتهر بالورع والتقوى والصلاح حفظ القرآن الكريم ودرس أحكامه علي أبيه وتفقه علي الشيخ (عبد الرحمن ولد حمد) وقد جمع بين العلم والعمل ودرس بعد أبيه وانتفعت به الناس وحمد هذا له ستة أبناء هم شيوخ إسلام وهم: (عبدالماجد، عبدالرحمن، عبدالله، علي، حسين، أبوقرين، وعبدالرحيم).

صار كل أبناء الشيخ عبد الله الأغبش من الصالحين الذين يشار إليهم بالبنان وأبناؤهم الذين أتوا من بعدهم من أصلابهم حتى أصبح لخلاوى الغبش نظامان، نظام للخلافة متواتر ونظام لتدريس القرآن وتعتمد الخلوة أساساً علي تدريس القرآن والعلوم الأخرى بوساطة أبناء الشيخ أو أبناء أبنائهم، وذلك بعد أن ينالوا التأهيل المناسب الذي يمكنهم من أداء هذا الدور علي الوجه الذي يرضي الله في حرصٍ شديد للمحافظة علي حمل الراية وان تظل رسالة القرآن والعلم ماضية بهذه الديار المباركة التي لم يعرف قومها الاستسلام .

بلغ عدد الخلفاء بهذا المسجد العتيق وهذه الخلوة حتى آخر خليفة الآن الشيخ محمد بن التجاني بن الفقه عبد الماجد هو الخليفة السادس عشر أمد الله في عمره، وقليل من هؤلاء الخلفاء من جمع بين الخلافة والتدريس والمسؤولية عندهم تضامنية في هذا المسجد .

الشواهد التاريخية علي عطاء الغبش :

أ) المؤلفات والمخطوطات :



- **المصحف الشريف المخطوط باليد:** وهو خاص بالأستاذ الفقيه عبد الماجد بن الفقيه أحمد بن الفقيه عبد الله الأغبش وعمر هذا المصحف أكثر من ثلاثمائة سنة حيث انتهي الفراغ من كتابته سنة ١١٠٥هـ .
- **مؤلفات مشايخ وتلاميذ الغبش:** لديهم مؤلفات كثيرة العدد توثّق وتشهد علي عطائهم، منها علي سبيل المثال:
  - كتاب: (مصباح الدّجى في شرح نظم محمد الخرازي الشرشي) تأليف الشيخ عبد الرحمن بن حمد الأغبش .
  - مخطوطة: (القيود المفهمة في حل ألفاظ المقدمة) تأليف الشيخ عبد الرحمن بن حمد الأغبش، (المقدمة المعنية مقدمة أبن الجزري في علم التوحيد).
  - كتاب: (شرح مورد الظمآن للخرازي) تأليف الشيخ عبد الرحمن بن حمد الأغبش.
  - كتاب: (تحفة المدات في مجال تجويد القرآن الكريم) تأليف عبد الرحمن بن حمد الأغبش.
  - منظومة: (سلم المريد في العلم) مؤلفها الشيخ حمد بن محمد المدلول الغبشاوي .
  - منظومة: (الدنفاس في ضبط وعد آي القرآن الكريم) مؤلفها الشيخ الدنفاسي وهو من تلاميذ الشيخ عبد الله الأغبش .





هناك مؤلفات أخري كثيرة لا يتسع المجال لذكرها و نكتفي بما أشرنا إليه.

ب) مزروب الحفظه :

هو عبارة عن قطعة أرض وسط المسجد محاطة بأحجار ذات أحجام مختلفة جمعها الحفظة من الجبل القريب من القرية وكل حافظ حفظ كتاب الله وتخرج في هذه الخلوة يضع هذا الحجر ليكون شاهداً له ولأهل الخلوة الذين مكّنوه من حفظ كتاب الله. لكن للمكان دلالة أخرى حيث رأى أحد تلاميذ الخلوة رؤيا منامية أن سيدنا عيسي عليه السلام صلي ركعتين في هذا المكان ولما حكى هذا لشيخه عبد الله الأغبش طلب منه أن يوصّله للمكان الذي رأى فيه الرؤيا فقام الشيخ عبد الله بنقل مسجده إلي موقعه الحالي مكان الرؤيا، وعِبرت هذه الرؤيا على أن هنالك حلقات دراسية ستستمر إن شاء الله إلي نزول عيسي عليه السلام ، (الغبشاوي، ١٩٩٨م).

ج) تأييد الغبش للمهدي :

درس محمد أحمد المهدي علوم القرآن والفقه في ديار الغبش علي شيخه محمد عبد الله خوجلي الذي أشتهر فيما بعد باسم محمد الخير، والحجرة التي سكن فيها حولت لصالون كبير يحوي معرضاً لتراث خلاوي الغبش تخليداً لذكرى المهدي.

عندما ذهب المهدي إلي مدينة الأبيض في غرب السودان أرسل إلي شيخه محمد الخير دعوة للانضمام "للمهدية"، وعند سماعه لمهديته قال الشيخ



محمد الخير: (والله إن هذا الابن لا يكذب) وبايعه، حيث جعله المهدي أميراً علي بربر، وعندما أتت الحملة من مصر لإنقاذ غردون لحظة حصاره بالخرطوم قام الشيخ محمد الخير خوجلي بمناوشة الحملة في بربر وعطلها وكان هذا الاعتراض سبباً قوياً لسقوط الخرطوم. وتوجد جوار قرية الغبش طابية من الطين قائمة حالياً لكنها تعاني الإهمال . فهذا شاهد قوي يؤكد أن مشايخ الغبش كانوا دائماً نصرة للدين متي ما تبين لهم الصواب .

الغبش و الطريقة التجانية :

خلال العهد التركي حضر وفد من بلاد شنقيط (موريتانيا) حالياً في طريقهم للحج حين كانت مدينة بربر محطة رئيسية لحجاج غرب إفريقيا، وكان وفد موريتانيا بقيادة السيد الشريف محمد بن المختار الشنقيطي التجاني، وكان مشتهراً بـــ (بوالعالية)، وقد جرت مناظرة بين السيد محمد بن المختار ومشايخ الغبش وكان وقتها الخليفة محمد الخير خوجلي، وبعد المناظرة أخذ عهد الطريقة التجانية ومن حضر من تلاميذه علي يد الشريف محمد بن المختار المدفون حالياً بـــ "قوز المطرق" جنوب "شندي" وحصلت مصاهرة بينهم والشريف محمد بن المختار .

يوم دراسي بخلوة الغبش :

للخلاوى منهج تسلكه في تأدية دورها تجاه تحفيظ القرآن الكريم وهو متشابه في كل الخلاوي إلا من يعض الاختلافات القليلة. وما يتبع في خلوة الغبش هو علي النحو التالي:

مرحلة القَبُول :

عند قبول طالب القرآن بالخلوة يتم اختباره لتحديد مستواه إذا كان يجيد القراءة والكتابة أم انه أمي يحتاج للبدء معه من الحروف أم انه أتي منتقلاً من خلوة أخرى وعلي أساس نتيجة الاختيار الأولي، تتم في معاينة الطالب مباشرة بواسطة شيخ الخلوة (معلّم القرآن).

أوقات الدّراسة بالخلوة :

يبدأ يوم الخلوة الدّراسي علي النحو التالي :

١/ الدغشية (أو الفجرية):

تبدأ من الساعة الثالثة والنصف صباحاً، وفيها يقوم الطالب بمراجعة اللوح الذي سوف يقوم بكتابته بنهار نفس اليوم وبعد حفظه يقوم بكتابته (تنزيله) علي اللوح من رأسه.

تبدأ **الرمية** (الإملاء) للطلاب المبتدئين بعد صلاة الفجر، وتستمر الدغشية حتى الساعة السادسة والنصف صباحاً بعد شروق الشمس ليذهب الطلاب لتناول شاي الصباح، وفترة راحة لمدة نصف ساعة.

٢/ الضحوية :

وهي تبدأ من الساعة السابعة إلي الساعة العاشرة والنصف صباحاً، وفيها يقوم الطالب بمراجعة دراسته (أي تسميع ما يحفظه من القرآن لنفسه) حتى آخر موقف وإذا لم يكمله يستمر فيه لليوم الثاني وهذه القراءة عادةً تكون من المصحف إلا إذا أراد الطالب تسميعها بدون مصحف .

٣/ القيلولة (الراحة):

تبدأ فترة القيلولة بعد الإفطار مباشرةً وهي ملزمة لكل الطلاب وموعدها من الساعة الحادية عشر صباحاً حتى صلاة الظهر عند الساعة الواحدة ونصف .

٤/الضهرية (وقت الظهيرة)

وتبدأ هذه الفترة من الساعة الواحدة والنصف ظهراً عقب صلاة الظهر إلي الرابعة مساءً، وخلالها يقوم الطالب بقراءة اللوح الذي كتبه وقت الفجر وتم تصحيحه علي الشيخ ليحفظه في وقت الظهرية .

٥/ استراحة الغداء وصلاة العصر: من الساعة الرابعة تستمر حتى الساعة الخامسة مساء.

٦/ العصرية :

تبدأ هذه الفترة من الساعة الخامسة مساء إلي السادسة مساء خلالها يطالع الطالب لوحه ليوم الغد عند الشيخ، وعند المبتدئين يقرأ لهم الشيخ.

٧/ المغربية :

تبدأ بعد صلاة المغرب مباشرةً وتنتهي الساعة الثامنة والنصف وقت صلاة العشاء، وعندها يتم تسميع اللوح الذي كتبه في "الدغشية" عن ظهر قلب عند الشيخ.

٨/ السبع :

يبدأ وقته بعد صلاة العشاء ويستمر حتى الساعة العاشرة والنصف مساءً وفي هذه الإثناء يقوم الطالب بقراءة ما يحفظه من القرآن (الدراسة) عن ظهر قلب، وهو متحرك مع مجموعة الطلاب بالخلوة في شكل دائري، والشيخ يراقب الطلاب خلال هذه الفترة .

ينتهي اليوم الدراسي بالتفاصيل المذكورة آنفاً عند الساعة العاشرة والنصف مساءً، وبعدها يتناول الطلاب العشاء ثم يذهبون إلي النوم .

بعد تجميع ساعات الدراسة بالخلوة خلال اليوم نجدها تصل إلي (ثلاثة عشر ونصف الساعة) في اليوم، أما يوم الخميس وحتى ظهر الجمعة هذا وقت الراحة الأسبوعية لطلاب الخلوة .



العدد المناسب الذي يتمكن الشيخ من تدريسه يصل إلي (٣٥) طالباً ويرتفع إلي الضعف بعد أن يقوم الشيخ بتوزيع الطلاب المبتدئين على الطلاب العائدين، (وهم الذين يعيدون قراءة القرآن بعد حفظه الأول لترسيخ الحفظ).

طريقة تخريج الطلاب :

أ) فترة الحفظ:

طلاب الخلوة تتفاوت أعمارهم من صغار السن إلي المتزوجين وليس هناك شرط للطالب الذي يريد حفظ القران سوي رغبته الأكيدة وتفرغه التام.

وحسب عمر الطالب تكون فترة بقائه بالخلوة، كذلك درجات الذكاء وسرعة الحفظ لها أثر كبير في تحديد الفترة الزمنية التي يحفظ فيها دارس القرآن الكتاب حفظاً جيداً، لكن لصغار السن فترة الحفظ تبدأ من سن سنتين علي الأقل للأذكياء إلي أربع سنوات، أما الأعمار المتقدمة وضعيفو الحفظ فقد يمتد بقاءهم بالخلوة لمدة سبع سنوات.

ب) الختمة:

وهي تمكن الطالب من الحفظ حسب مقدراته، ولا تكون "الختمة"، إلا أن يكون الطالب قد أتم حفظه الأول للقرآن الكريم.

ب) العودة المرة:

في الحفظ الأول يتفلت القرآن كما وصفه رسول الله صلي الله عليه وسلم، ويحتاج إلي إعادة الحفظ مرة ثانية، وفي السودان تعرف بـــ "العودة



المرة" للتركيز الشديد في الحفظ، تكرر العودة لمرتين، ومن ثم يقوم الطالب بتسميعه كله عند الشيخ الذي يجيزه بحفظ القرآن ويمنح شهادة من الخلوة تفيد حفظ الطالب للقرآن والقراءة التي حفظ بها، والقراءة الأكثر انتشاراً في السودان في الوقت الراهن هي رواية حفص عن عاصم .

في السابق لم تكن هناك شهادات تمنح بل يعرف الحفظة بتفاعلهم مع المجتمع وإبلاغ رسالتهم لغيرهم حتى يثبت حفظ القرآن بمداومة مدارسته وإبلاغه للناس.

تخريج الطلاب يأخذ أشكالاً احتفالية متعددة تبدأ بفرحة الطالب نفسه ثم أهله ثم زملائه في الخلوة ثم شيوخه والقائمين علي أمر الخلوة في بعض الأحيان: يرتب احتفال عام لهذا التخرج وأحياناً أخرى يكون هناك احتفال محدود في إطار الخلوة .

مقارنة بين دارسي الخلوة و التعليم النظامي :

الدراسة بالخلوة تمتاز بالآتي :

[١]الاستفادة من الوقت بفعالية عالية مع الحرص علي عدم ضياعه .
[٢]يتمكن الدارس بالخلوة من القراءة الصحيحة خصوصاً أن لغة القـرآن هي الأصل وهو معجزة الله في الأرض .
[٣]تتم متابعة الطالب بدقة في برنامج الخلوة .
[٤]يكون الحفظ عن ظهر قلب.



[٥] الكتابة علي اللوح تمكن من الحفظ وهو قاعدة ثابتة بالخلاوى .
[٦]كل طلاب الخلاوي يجلسون علي الأرض ويمتازون بطهـــارة الثـــوب والمكان والجنابة.
[٧] المنهج لحفظ القرآن والعلوم الإسلامية الأخرى إن وجدت .
[٨] الخلوة لا تتقيد بعمر محدد والطالب فيها متفرغ تماماً للحفظ.

الدراسة في التعليم النظامي (المدارس):

[١]يبدأ التعليم النظامي من عمر ست سنوات فما فوق، والخلوة تقبل أقل من هذا العمر.

[٢]المنهج يحتوي علي عدد من العلوم .

[٣]يقاس الطلاب عن طريق الامتحان وتظهر الفوارق بين الطلاب علي هذا الأساس، بينما القياس بالخلوة على مستوى الفرد.

[٤]فترة الدراسة بالتعليم النظامي محصورة في عدد محدد من الشهور وفي عدد من ساعات النهار (ساعات عمل الدولة الرسمي)، بينمـــا بـــالخلوة غير ذلك .

[٥]علاقة الطالب في التعليم النظامي مع الدراسة علاقة مادية، بينما طالب الخلوة علاقته بالخلوة علاقة تعبدية.

هناك فوارق كثيرة بين هذين النظامين وهي مثار نقاش وجدل بين طبقات المجتمع من الذين يؤيدون نظام التعليم الغربي الحديث للحصول علي الوظائف إدعاءً منهم بأنهم يقدموا للإنسانية خدمة متميزة.

هذه صورة مختصرة في رؤوس مواضيع لرسالة عميقة متجذرة لا يمكن أن تحصرها أو تحصيها هذه السطور المحدودة .

الخاتمة :

كل الشعوب المسلمة في هذه الأمة الخاتمة لديها أساليبها وآلياتها لنشر رسالة القرآن وتعاليمه، وهذه الورقة قصد منها عكس ارتباط وجدان شعب السودان بالقرآن وإنه لم يفرض عليهم بقوة أو بأي شكل من أشكال القسر، بل أتي إليهم وسعي بينهم في أريحية وسماحة قبلوه وانفعلوا به، حيث كان الفرد منهم يؤسس خلوة أو داراً لتحفيظ كتاب الله ويجد نفسه أنه في غاية الشرف ويمتلكه السرور والارتياح والإحساس بالعظمة. وما تحصل عليه الباحث من مراجع ومعلومات ووثائق وما ترسخ في دواخلنا من تعليمات القرآن الكريم وفي حياتنا اليومية لا يمكن أن تحصرها هذه الورقة، والله نسأله أن يقربنا بهذا العمل إليه ويتقبل منا ويغفر لنا الزلل إن أخطأنا.

النتائج:

[١] استمرار خلاوي القرآن بالسودان منذ ذلك العهد الذي نشأت فيه بعد دخول الإسلام للسودان حتى يومنا هذا وهي واقع ماثل ومعاش الآن، بل تطورت مع الحياة من اعتمادها علي إيقاد نار القرآن بالحطب فيما يعرف "بالتقابة" التي تعتمد علي (الفزعة) إحضار الحطب بواسطة الطلاب من أقرب غاية إلي استخدام الكهرباء والغاز في صنع الغذاء (الطعام) للطلاب.



[٢] ثبات منهج الخلوة في التدريس ونجاحه حسب المقارنة التــي أجريــت بالورقة والوسيلة التي يكتب عليها هو اللوح من الخشب، وقلم الدوايــة من الأعشاب المحلية.

[٣] اعتراف الدولة بحفظة القرآن من الخلاوي وجعل تعيينهم الوظيفي فــي مرتبة خريجي الجامعات هذا تكريماً لحفظة القــرآن ورفــع مكــانتهم الاجتماعية والوظيفية وصدر هذا الاعتراف فــي توجيهــات رئاســة الجمهورية بالخطــاب رقــم ق ج /م ت /أ / ١، مكــرر ٥١/أ/١/١ ، بتاريخ ١٠ رجب ١٤٢٢هـــ الموافق ٢٧ سبتمبر ٢٠٠١م، موجه إلــي السادة الولاة لوضع هذه التوجيهات موضع التنفيذ .

[٤] انتشار الخلاوي في كل أرجاء السودان دون استثناء حتى دولة جنــوب السودان الحديثة بل توجد مجمعات ضخمه يضم المجمع الواحد منها ما يقارب (٤٠٠٠) طالب لخلاوي الشيخ محمد أحمد أبو العزة بكردفــان وهمشكوريب بشرق السودان.

[٥] من النتائج نموذج الحصر لخلاوي ومراكز تحفــيظ القــرآن الكــريم لولايتين أساسيتين كما ورد ذلك في الملحق رقم (١).

[٦] تأثير لغة القرآن والثقافة الإسلامية علي السودان هذا لا يمكن حــصره رقمياً لكن الدليل المباشر للواقع المعاش هو اختفاء اللهجــات المحليــة تماماً جنوب حدود منطقة النوبة وتضم حاليــاً ولايــات نهــر النيــل، الخرطوم، الجزيرة، النيل الأبيض، النيل الأزرق، القــضارف وشــمال

كردفان، أما الأصول النوبية فاللغة العربية هي لغة التخاطب مع غيرهم ومن يتحدث بلهجة أو لسان غير عربي في نطاق حدود سلطنة الفونج يكون وافد إليها من مكان آخر أو يكون من أصل غير عربي أما منطقة البجة فاحتفظت بلهجتها المحلية لاعتمادهم علي حرفة الرعي.

[٧] أما تأثير نشاط الخلاوي علي القراءة و الكتابة لدي عامة السودانيين فهو يعتمد علي مستويين:

- من أتي للخلوة في عمر مبكر تمكن من إجادة القراءة و الكتابة وتدرج حتى حفظ القرآن أو غادر الخلوة قبل هذه المرحلة.
- المستوي الثاني هم كبار السن الذين لم يجلسوا للقراءة و الكتابة فقط تم تلقينهم سور تمكنهم من تصحيح عبادتهم أو(ما تصح به عبادة المكلف) وذهبوا لحالهم لإعالة أسرهم خصوصاً حين بدائية الحياة وقت ذاك.

[٨] سلوك وطباع الفرد السوداني أتسم بخلق الإسلام بصفة عامة ومنهج التصوف علي وجه الخصوص لان غالبية العلماء الذين هاجروا للممالك الإسلامية كانوا من أهل التصوف لذا كانت الطباع و السجايا يغلب عليها طابع الزهد و الورع وعدم الاهتمام بشئون الدنيا حتى أن الشيخ فرح ود تكتوك صاحب الحكمة في دولة الفونج يحذر من الوقوف علي أبواب السلاطين.

حيث يقول في أرجوزتة:

يا واقفاً عند أبواب السلاطين   أرفق بنفسك من هم و تحزين

[٩] درج كثير من أهل الخلاوي والباذلين أنفسهم للعلم لا يهتمون بحصر طلابهم والذين تخرجوا علي أيديهم وذلك مخافة نقص الأجر أو الرياء كما لا يرغبون في الاشتهار والسمعة بحكم التربية الصوفية التي غلبت علي حالهم.

التوصيات :

من أهم ما توصلت إليه الدراسة من توصيات هي:

- تطوير نظام الخلاوي بالاستفادة من التكنولوجيا الحديثة والابتعاد عن التقليدية .
- تحمل الدولة مسؤوليتها بصورة أدق تجاه القرآن بجعل تكلفة الإعاشة واستحقاق الشيوخ واجباً رسمياً علي الحكومة .
- إدخال سنتين بعد الرابعة والسادسة بالمدارس لحفظ القرآن بدلاً عن تمهيدي روضة .
- وهذا التعويض لتوزيع القرآن علي كل السنين .
- توسيع قاعدة مشروع المدارس القرآنية وجعلها جزءاً أصيلاً من المناهج التربوية بدلاً عن حصرها في مواقع محددة.
- إدخال منهج التربية والسلوك للالتزام بما أمر به القرآن أي تطبيق أمر الله وإرجاع هذا المعين لأصله كما كان يفعل الصحابة يحفظون القرآن ويعملون به (تطبيقه) حتى صاروا جميعهم نجوماً لكتاب الله يمشون بين الناس .

المراجع :

[١] أحمد بن الحاج أبوعلي، مخطوطات كاتب الشونة في تاريخ السلطنة السنارية والإدارية المصرية، الدار السودانية للكتب، (٢٠٠٩م) .
[٢] أحمد علي الأمام، الخلوة والعودة الحلوة: خواطر ونظرات حول التعليم الأصلي، (٢٠٠٢).
[٣] حسن محمد النعيم، التعليم الأولي في السودان، (٢٠٠٧).
[٤] سمير محمد عبيد نقد، غلام الله بن عايد وأثاره في السودان، (٢٠٠٧) .
[٥] عبد العزيز عبد الغني، تاريخ الحضارات السودانية القديمة للمعلمين، (١٩٧٠).
[٦] عبد العليم عبد الرحمن خضر، حضارة الإسلام في وادي النيل، دراسة جغرافية انتشار الإسلام، عالم المعرفة، جده، (١٩٨٥) .
[٧] محمد الأمين الغبشاوي، دور الغبش في نشر القرآن في السودان، دار الشريعة، (١٩٩٨م).
[٨] محمد ضيف الله بن محمد الجعلي الفضلي، (٢٠٠٩) الطبعة الثانية، كتاب الطبقات في خصوص الأولياء والصالحين والعلماء والشعراء في السودان.



الملاحق

ملحق رقم (١)

معلومات إحصائية لخلاوى ومراكز تحفيظ القرآن العاملة اليوم بولاية سنار، وخلاوي الولاية الشمالية وحاضرتها دنقلا*

الولاية	عدد الخلاوي	عدد طلابها	عدد مراكز تحفيظ القرآن	عدد طلابها	المصدر
سنار	٧٤٢	٦٤٧٠٠*	١٢٩٥*	٤٥٣٢٥	وزارة الشئون الاجتماعية ولاية سنار إدارة الذكر والذاكرين.
الشمالية	٨٤*	٢٥١٠	٦١ أهلي ورسمي	–	وزارة التخطيط الاجتماعي – الإدارة العامة للرشاد والتوجيه – إدارة المؤسسات الدينية– دنقلا.

ملحق رقم (٢)

صور من خلوة الغبش ببربر توضح المراحل المختلفة لسير اليوم الدراسي بالخلوة

*

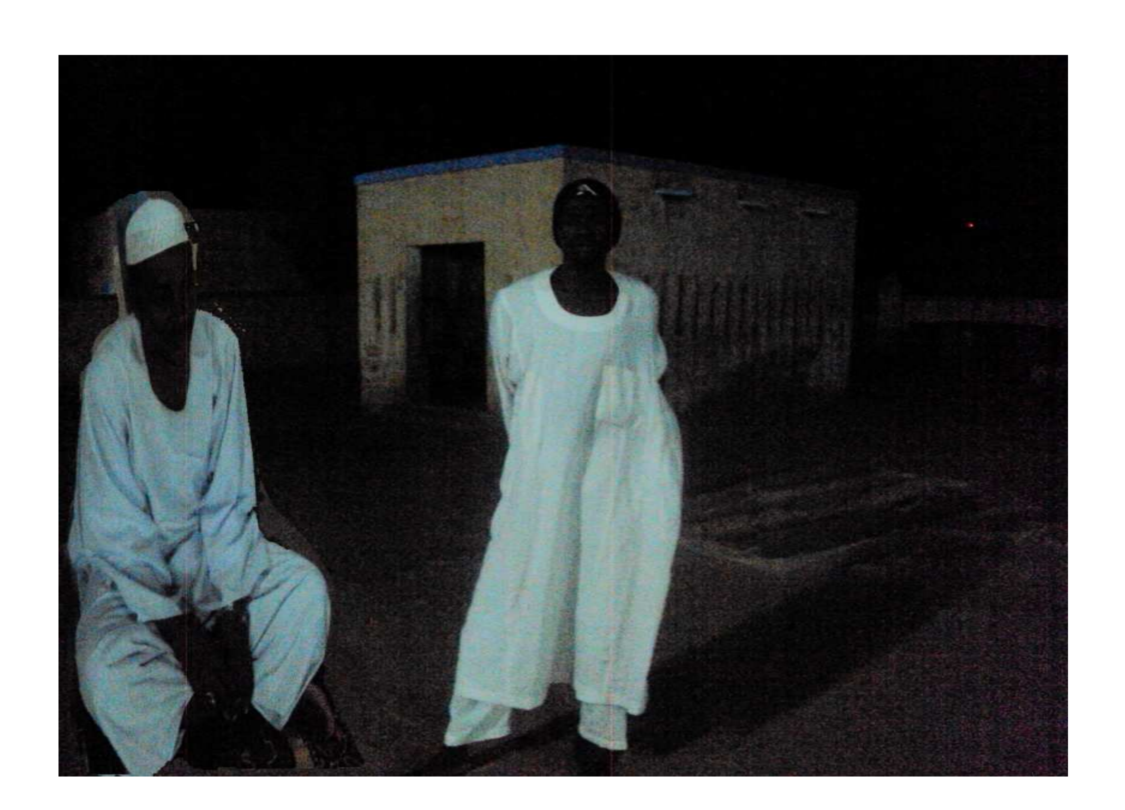


صورة (١): مزروب الحفظة (أرض وسط المسجد محاطة بأحجار ذات أحجام بعدد الحفظة الذين تخرجوا منها)





صورة (٢): توضح الرمية (الإملاء)، الشيخ يملئ الطلاب



صورة (٢): توضح المغربية، الطلاب يعرضون علي الشيخ ما حفظوه

ملحق رقم (٢)

جانب من المعرض بالمتحف التوثيقي بخلاوى الغبش



صورة (٣): توضح كشف بأسماء خرجي خلاوى الغبش للعام ٢٠٠٥م



صورة (٣): توضح جانب من المتحف الوثائقي لخلاوى، وفي الصورة إمام مسجد الغبش



صورة (٤): توضح جانب من المتحف الوثائقي لخلاوى، وفي الصورة (كرسي، إبريق وضوء، مقعد) ترجع لتاريخ قديم





صورة (٥): أوسمة ممنوح من رئاسة الجمهورية لخلاوي الغبش لدورهم الفاعل



صورة (٥): بعض من مؤلفات الغبش

الهوامش المرجعية

---

* ركز ولاية سنار باعتبارها محطة انطلاق دولة الفونج الإسلامية، والولاية الشمالية كأول منشأ لخلاوى.

* عدد الخلاوي بولاية سنار فيها (١٩٠) خلوة للنساء تستوعب عدد (٩٥٠٠) دارسة، كما توجد بالولاية أيضاً عدد (١٣٠) جمعية نسوية للصلاة علي الرسول (ﷺ) تقوم بتدريس القرآن وعلومه وعدد الدارسات بها (٦٥٠٠) امرأة .

* مراكز تحفيظ القرآن بها مراكز تتبع لجمعية القرآن الكريم .

* منها (٢٠) خلوة مستديمة و(١٢) خلوة للنساء .

* المصدر: المتحف الوثائقي لخلاوى الغبش .

